الإهداء

أهدي هذه التحفة الرائعة
" أيقونة الحب "

إلى نفسي فهي تستحق أكثر من ذلك،
حقاً أنت رائعة هنيئاً لي بك.

كما وأهديها إليكم عائلتي
وكلي فخر بكم،
دمتم بحب قرائي الأعزاء.

لعلَّ هذا التحفة الأدبية

" أيقونة الحب "

تقع بين يديها ذات يوم فترى أن القلب الذي نعتته بالصحراء، أصبح بحراً يفيض بالحب.

كما وأنني عزمت السفر معكم، وعقدت هذه الرحلة القصيرة إلى مدينة قلبي، لنرى هل هو صحراء كما ادعت تلك الحمقاء، أم أنها خسرت عالماً لم تعرف خباياه.

ـ ثمة أمر لا بد أن أطلعكم عليه قبل أن نخوض رحلتنا معاً،
الكاتب ربما يخرج من واقعه، ويطوف بفكره وخياله إلى ما خلف الحقيقة والواقع، فيبحر في عالمٍ غير الذي يعيشه ويعاصره،
فربما يستغرب البعض منكم كوني كاتباً عن الحب، بالرغم من أنهم كانوا يعتبرونني من الأشخاص الذين لا يمكنهم خوض غمار معركة نهايتها حتماً فاشلة، لكثرة قراءتهم لخواطري التي كانت تتوسم نهايتها ب "ما أصعب الحقيقة وما أتفه العشاق".
على الرغم من أنني لم أسقط في مسلسل الحب، ولكنني عايشت أجزاءً كثيرةً منه إما حقيقةً وإما من خلف الحقيقة كما أسلفت لكم.

ـ وإنه في طريق رحلتنا سينبعث من خلال قلبي خوا طر،
أصدرها القلب، خطها القلم، ووصلت إليك، وما يخرج من القلب يصل إلى القلب، فأتمنى أن تقع بين يديك إحداها فتجد فيها نفسك، أو على الأقل تساعدك في البحث عنك.
رحلةٌ ماتعة..

عندما سئلتُ عن آخر حديثٍ دار بيني وبينك قلت:
كان حديث حُبٍ تناقلته القلوب قبل الأفواه،
نطقت به القلوب، ولم يتحرك معه اللسان وكأنه حديثٌ بين أبكمان لا يجيدان البوح باللسان،
حديثٌ بلغة العيون مع العَبرات، لا يمكن لأي لغةٍ أن تعبر عنه،
فلساني ضاع بين خفقان قلبي وعتاب عقلي،
وكانت نظراتي إليها نظرات قلبٍ لا عين، لذلك إلى الآن لم أتذكر ملامح وجهها جيداً حين كان آخر لقاء.

كنت أجلس على شاطئ البحر،
هذا المكان ملهمي وأصفى ما يكون فيه ذهني،
أخاطب كل من يمر من أمامي، حتى الصدفة لم تسلم من كلامي
خاطبتها يوماً فقلت: أنت تشبهينني؟!
فأمواج البحر ترتطم بك إلى أن تسوقك إلى الشاطئ، وكذلك أنا
أرتطم ببحر الحياة فتسوقني الهموم إلى هنا،
ولا سبيل لنا إلا أن نرجع ونواجه مصيرنا من جديد،
وحسبنا أن كل واحدٍ منا بداخله جوهرة،
ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

كلّ الصور تُمحى وكلّ الرسائل تَفنى،
إلا تلك التي قد علقتها على جدار قلبي،
فمع كلّ نبضة تدقُّ وكأنها إشعارٌ جديد،
يطرقُ نوافذ الذكرى ويحي دوافع الاشتياق.

أتدري ما هو أسوء شيءٍ في الحب؟
أسوء ما في الحب هو أن يُفهم الاهتمام بطريقةٍ خاطئة،
فيتحول الاهتمام إلى تعلقٍ مميت، كمن رعى وردةً فأحبها
وخاف عليها، ومن فرط حبه لها مع مرور الأيام حجر عليها؟
حجر عليها مظنةً منه أنه يحفظها، ولكن للأسف ذبلت وغاب
عبق رائحتها، وهذا يا رفيقي من معاني العبارة الشهيرة
" من الحب ما قتل ".

إن قلت يوماً: أني أشتاق لعودتك فأنا أكذب،
وإن قلت: أني لا أبالي بعودتك فأنا أكذب؟
كلّ ما في الأمر أنني لم أتمنى يوماً أن أعيش لوعة الفراق،
أو أن أعيش لحظة الانتظار،
كنت أتمنى منك ألا ترحل،
كنت أتمنى أن يكون الذي بيننا أكبر من مجرد لقاءٍ وفراق..
الآن أريد أن أراك دون أن أكون مشتاقاً، أسمع عن عودتك كسماع شخصٍ لا يعرف عنك شيئاً، ينظر إليك دون أن يرجع بالذاكرة إلى الوراء،
هذا كلّ ما أريده وكأني أريدك دون أن أراك،
أو أنني أريد أن أراك دون أن أريدكَ،

هذا حال لساني وسذاجة قلمي وفراغ وقتي،
أما عن قلبي فلا أعلم عن حاله شيئاً، فلم أره منذ أن وهبتك إياه،
فهل تفتقده؟ هل تطمئن عليه؟
أم أنك وضعته كهديةٍ جار الزمان عليها وانتهت صلاحيتها،
وألقيت بها في غيابات الجب، داخل بئرٍ خرب لن يمر عليه أحد،
ولن يأتي وارد ليدلي دلوه فيراه فينتشله ويعيد له الحياة،
غفر الله لك لا تثريب عليك، لعلك أفدتني بسرقة قلبي
بأنك حرمتني قلباً؛ حتى لا أنخدع مرةً أخرى كانخداعي بك،
وإن مرّ أحدهم فلن يجد قلباً يطرقه، أشكرك فلن أذوق طعم الفراق
مرةً أخرى.

ليس اللقاء هو لقاء الجسد،
وليس اللقاء بالعناق،
بل اللقاء بالروح والقلب،
فكم من حبيبٍ غاب عن ناظرنا
لكنه لم يفارق أعماق أرواحنا.

أحياناً المتعة الحقيقية تكون مع شخصٍ لا يعيش بجوارك،
إنما بداخلك،
يزور ذاكرتك فتشعر وكأنك معه فوق غيمة،
أو يأتي على هيئة غيثٍ يبلل روحك،
ويسقي مبسمك،
لعلي أهوّن على نفسي بهذه الكلمات المتواضعة،
فوالله ما الحب إلا أن تكون بجانب من تحب.

أنت الشخص الوحيد على هذه الأرض
الذي أشتاق إليه وهو بجانبي،
فكيف إن فارقتني؟
مجرد التفكير بفراقك أشعر بالحزن فكيف بحقيقته؟
لا فرق الله بيننا.

أتدري أنني انتظرتك طويلاً،
بشوق السنين والأيام، دون أن أعرف من أنت،
كل ما أعرفه أنني أدعو بأن يجمعني الله بمن يقترن بقلبي،
فيكون لي سنداً ومتكئاً،
لا أعرف عنك شيئاً سوى أن الله لن يخيب ظني،
وأنك ستكون يوماً بقربي، فكيف بك وأنت معي
أيعقل أن أفرط بك؟

كم من غريبٍ جاءت به الأيام
فترك أثراً لم نرهُ في الأحلام.

مرت الأيام والسنين والدقائق
والثواني والمواقف والطرائف،
بكلّ ما فيها من سعادةٍ وفرح،
رأيتُ فيها الكثير الكثيرَ من الأشخاص،
ولكن مثلك يا حبيب لم ترَ عيني،
وبمجرد رؤيتك حمدت ربي أني رأيتك
بقلبي لا بعيني،
ما أكثر ما رأت به عيني،
أما عنك فقد رأيتك بفؤادي،
وما كذب الفؤاد ما رأى.

من أجمل العطايا التي يمنحها الله عزوجل لك
هي أن يرزقك شخصاً،
وفياً، صادقاً، روحاً، حياةً، سنداً،
تجده معك في كل خطوة،
وكأنك تتعرف على نفسك لأول مرة.

لا أعلم كيف تكون الحياة دونك؟
وهبتني لذة الشعور بوجودك،
زرعت بي قلباً كلما جفا أتاك،
قلباً ينبض بالحب حين يراك،
ويذرف دمعاً حين عن ناظره تغيب.

يكاد قلبي أن يطير!
عندما أكون بين يديك،
وأعزم السفر في بحور عينيك،
وفجأةً ألمح جمال خديك وبهاء وجنتيك،
وهل بعد هذا سفر؟
أطوف بحبك كل العالم،
وأرى فيك كل شيء،
عيونك بوابة السفر لقلبك،
وقُبلةٌ مني تذكرةٌ للسفر.

كيف حالك يا رفيقي؟

غارقٌ في بحور الذكريات، ذكرى تفرحني وذكرى تقتلني

ذكرى تشعرك بالسعادة ثم تقودك إلى عالم الخيبة والأسف،

ويا أسفي على الذكريات الكثيرة التي تجمعني بك،

ذكرى واحدة كفيلة بأن تقتل محباً من الشوق والحنين،

فكيف بي وأنا أعيش في عالم من الذكريات المميتة المؤلمة وأصبر

وأقول بأنه ألم يتبعه أمل ألم الفراق وأمل اللقاء، وأنا أكثر الخلق علماً

بأنه ليس لي معك لقاء بعد اليوم، ولكن من يقنع قلبي بهذا ومن يخبره

أن لساني ملّ من كثرة ذكر الحبيب، من يخبره بأن يتوقف عن النبض باسمه والبكاء عليه، من؟

كفاك يا قلبي فقد تعبت من التفكير به وترقب عودته كما تخبرني، ليتني أستمع لعقلي وأنسى حبيبي ليتني، ولكن بلا فائدة فقد اعتدت على طغيان قلبي وجبروته على عقلي، مع كل هذا الغياب ومع كل هذا الوقت إلاّ أن قلبي ما زال معلقاً به، أستغرب ثم أقول: لا تلومنّ قلباً هوى أحداً ولا تسألنّ كيف ولمَ كل هذا الحب؟

أيا حبيبي
أما زلت تذكر عندما كنت أقول لك: يكاد قلبي أن يطير عندما أكون بين يديك، وأعزم السفر والمكوث في بحور عينيك،
الحمد لله فلقد كنت صادقاً وها أنا اليوم أغرق في تلك البحور التي قصدتها، ومالي من قارب نجاة سوى عقلي،
ولكن هل لقلبي أن يسمع منه ويركب معه ولو لمرةٍ واحدة؟
أتعلم أنني لم أكن مرتاحاً في ذاك اليوم الذي جئتني به مكسوراً فضممتك، كنت أعلم أن علاج الكسر الضم ولكنني كنت حزيناً لأنني أعلم أن الضم يعيد للقلب السكون، ولكن السكون إذا طغى على القلب لم يعد كما كان، وها أنا ذا أتحمل هذا السكون فقلبك لم يعد كما عهدته مخلصاً شغوفاً محباً، من كسرٍ إلى ضمٍ مروراً بالسكون وصولاً إلى الشدة ورغم كل هذا قلبي ينادي الروح لا تمل العاشقين،

ويحك يا قلبي

ألا تريد أن تعود إلى رشدك أما تريد أن تبصر بعين عقلك وتبعد عن أحلام قلبك، الأحلام جميلة ولكن الواقع أجمل لأنك ستعيش الواقع لا الحلم، حتى الحلم يجب أن يخضع لأحكام الواقع، أنا لست ضدك يا قلبي أنا معك وبك ومنك ولكني أخاف عليك من كثرة التعلق؛ لأنه يورث الذل والانصياع، أعلم أنه يصعب عليك قتل الذكريات؛ لأنها بلا روح ولكن عليك بشيء من التجاهل، واجعل الذكريات كصورة معلقة على جدار روحك لا على جدار حياتك، لن تقف الحياة على أحد ولن تتوقف حياة أحدٍ عليك، وإنني لست أدري هل وصلتك رسالة عقلي وفهمت مرادها أم أنك باقٍ على عاداتك تحمل شعار العاطفة فوق العقل وتردد إن لم تكن في الحب مجنوناً فلا داعي لأن تحب، فالحب لا يحمل معاني العقلانية،

رسالة أخيرة

"أنت صانع الحب وليس الحب صانعك".

أغارُ عليك من فمي حين يقبلك،
ومن جسدي حين يلامسك،
وأتوقف هنيهةً فأقول: ويحك
كيف تغار من شيءٍ ليس بذي عقلِ؟
فأقول: ويحَ حبٍ يأخذُ عقلاً ويلوم من ليس به عقلُ.

في كلّ مرةٍ أحادثك بها تُزهر روحي،
وتتفتح أوراق قلبي،
وتعم السعادة أرجائي،
وكأن الربيع حلّ علي،
وأشرقت الدنيا وتبسمت لي من جديد.

في قلبي شيئين أمنيةٌ وأنت،
أما أنت فأنت،
وأما الأمنيةُ فأن يجمعني الله بك
وأن ألتقي بك وألا تفارقني،
ففي كلا الحالتين أنت.

هل لي من وقفةٍ كهذه؟
تقف مع معها في باحات المسجد الأقصى،
تحتار في هذا الجمال الذي تقف بينه،
قبةٌ لامعة في عيونك المشتاقة التي طالما حلمت بهذه النظرة،
وعيني حبيبتك البراقة التي طالما كنت تنظر إليها فترى جمال القبة والقدس، بل جمال الأرض كلها،
كنت أرى فيها كل شيءٍ أفتقده،
كانت تعوضني عن كل شيءٍ حلمت به،
جمعني الله بك يا أيقونة الجمال في حرم الجمال.

إلى ملكة الجمال حبيبتي،
وإلى أرض الجمال قُبتي،
معشوقتي
فداكِ المال والأولاد يا مهجة قلبي،
فداكِ يُفدى كل ما يُملك، في سبيلك غاليتي،
يفنى الشباب والعمر، وتبقى حبيبتي،
لأجلك يثور الشيخُ والشابُ والمرأةُ
والطفل الرضيع في مهده،
لأجلك نثور غضباً؛ لنصرتك
لأجلك نحرق الأرض؛ لننير عتمتك
ولن نسمح لأحدٍ كان من مكان أن يدنّسك.

لا بدّ وأن يكون بين كل شيئين
شيء،
فما بيني وبين الحب
أنت،
فأذني يا ملكة الحب أن أكون حباً،
لنصبح حباً وحباً وحباً.

أخاف على نفسي من هجرك وبعدك عني،
أخاف أن يستهلك البعدُ الشوق منك،
لذا خذني إليك، وضمني إليك
احتويني بين خافقيك،
واجعل لي من قلبك مأوى،
حتى وإن غادرتني بقيت معك،
فأنا منك وإليك.

قل لي لماذا؟

لماذا نبحث عن الفراق حتى نحب بعضنا أكثر؟

لماذا بالفراق يصدق القلب وتفيض المشاعر؟

لماذا يصبح الشعر أوضح وطريقه أيسر؟

لماذا يتحدث كل شيءٍ فينا،

بينما كنا نخجل من أن ننطق بكلمة كيف حالك قبل الفراق؟

لماذا كان علينا أن نصمت وقتما كنّا؟

لماذا بعد الفراق خرج عنترةُ الذي بداخلنا؟

لماذا نبصر حقيقة الحب وجمال الحب بعد فوات الأوان؟

لماذا كان علينا أن ننتظر الفراق

أو أن نصنع الفراق، حتى نحب بحقيقة الحب؟

كم هي مرعبة فكرة أنك لا تستطيع شرح شعورك بالكلمات،
فلا تقدر على التعبير، ولا يوجد في القواميس كلمات تسعفك،
ولا يوجد في الأبجدية حروف قادرة على تركيب كلمة واحدة
تشرح بها شعورك،
الفكرة هي أنك لم تجد الشخص المناسب الذي يمكنك البوح عنده
بكل مشاعرك، فإنك إن تجده يا رفيق، ستجد معه منبعاً من الحروف،
فالقواميس ممتلئة بالمفردات والحروف على أهبة الاستعداد.

إن من أصعب الأشياء
أن تحسب لنفسك عند أحدهم مكانة عظيمة،
ثم تجد أنك أصبحت ثقلاً غير مرحب بك،
ثقلاً تستحق العقوبة عليه،
بلا شك ستعاقب على ذلك،
ستعاقب من قبل عقلك الذي طالما نصحك بألا تفتح أبواب قلبك
لكل عابر سبيل، ستعاقبك ذكرياتك القديمة التي احتفظت بها؛
لتسعدك والآن أصبحت شريط ذكريات مؤلم،
سيعاقبك قلبك لأنك فرطت فيه وألقيت به متسرعاً،
بئس المرء ملك قلباً فعاث فيه خراباً.

جفّ الدمع من عينيّ
وذبلت ملامحي،
وقلبي أتعبه الفراق،
وما زال ينتظر العناق،
أما علمت أن قلبي ينبض حباً حين يراك،
وعيني تذرف دمعاً حين عن ناظري تغيب.

يغيب عني،
فيغيب معه كل شيء،
فالحياة دونه لا معنى لها،
طريقٌ مظلم وخطوات متعرجة،
ولا شيء يبدو على ما يرام،
وإن عاد،
عادت معه روحي
وكأني بعثت من جديد،
ويقول أحدهم: أحبب هوناً وابتعد؟
الأمر ليس بيديّ
لا تلومنّ قلباً هوى أحداً،
ولا تسألنّ قلباً كيف ولمَ كل هذا الحب؟
فالقلوب أدرى بمن فيها.

إهداء لأحدهم..

ومن غيرُ باسلٍ في مهجتي
أضاء دربي وبحبه أطفأ لوعتي
وءانس وحشتي، رفيق دربي
هو دواء الدآء إذا القلب غفا.

وأجدك كطفلةٍ
تتربع في حجري، لا ضير في أن تكوني طفلتي،
فأنت مدللتي وصانعة بسمتي،
وزوجي وملكتي ومنتهى أملي،
رفقاً بقلبي وجوارحي
أو هكذا يكون الحب صديقتي.

منذ أن علمت أن نظري إليها يوهبها أجراً؟
أصبحت تتضايق عندما لا أطيل النظر إليها،
فكنت قد أخبرتها من قبل،
أن نظراتي إليها تحييني وتحيي قلبي من سباته،
فيكون لها أجر إحياء نفسٍ،
هنيئاً لك أجراً وهنيئاً لي نظراً وأجراً،
فأنا عندما أنظر إلى جمالك أسبح الخالق عما أبدع،
فيكون لي أجراً.

أحادثها وعيني في عينيها،
وقلبي يرق إليها،
هي حبي وحبيبتي وقرة عيني،
حديثي لها بلغة قلبي،
كم أعشق سماع صوتها وأفضل دوماً أن أستمع إليها
وأتمعن في حديثها مستمعاً بثغرها الجميل،
وإذ بي أذوب شيئاً فشيئاً
إلى أن أستعيد قوتي بعناقي لها،
وما ظنك بتعانق الغصنين.

في إحدى الصباحات الجميلة المفعمة بالأمل،
الممزوجة برائحة الياسمين، وزقزقة العصافير، ووجه أمي الباسم،
خرجت إلى الحديقة التي تسكنني من قبل أن أسكنها،
والتي زرع حبها فيّ بدون إذنٍ مني،
أما حبي لها لم يكن من أجلها بل من أجل من كان فيها؟
كان كل شيءٍ هناك يوحي بالحيوية والنشاط، ويدفع في النفس الحب والتفاؤل والطمأنينة، كل شيءٍ في هذه الحديقة يحدثني كعادتي إن سلمت نفسي وتركت لمخيلتي العنان، فلا أدري أين أنا أو أين سينتهي بي المطاف؟

كنت مسالمًا جدًا مع كل شيء هناك، لم أقسُ يومًا على أحدٍ،
وفي خلال الجولة كالمعتاد تحدثت مع بعض الأشجار التي اعتادت على سماع أتراحي وأفراحي، ضحكاتي ودمعاتي، والتي كنت أخط على سيقانها بعض كلماتي، ولكني في هذا اليوم تجاهلت شجرةً كنت يومًا آتيها وأشكو عندها حالي وأفضفض ما بداخلي، وأخرج من عندها كأني جلست في أحضان أمي وانزاح ما ألمّ بي،
وللأسف هذه الشجرة التي تركتها اليوم هي التي من أجلها أحببت الحديقة، مشيت متجاهلًا رفيقتي وكأني لم أرها، فإذا بها تنادي عليّ بصوتٍ يكسوه الألم ويعلوه الندم ويحيط به الخيبة وعلامات السقم..

ـ أهانت عليك كل هذه العشرة؟ هل نسيت كم مرة ضحكنا سويًا؟ كم مرة بكينا معًا؟ وكم مرة هطلت علينا الأمطار وضممتك تحت أغصاني؟ وكم وكم؟

ـ والله لم أنكر شيئًا، ولم يهن عندي يومًا، ولكنها الأقدار، نعم أحبك وأنت على هذا الحال، أحبك وأنت خضراء مثمرة، أحبك وأنت صفراء ذابلة، أحبك على كل حال وفي أي زمان وفي أي مكان، أعلم أنني اعتدت على أن آتيك كل يوم لأستند عليك، ولأحدثك بهمومي وأحزاني، أعلم أنني متعلق بك ومتجذرٌ بك كارتباطك بالأرض يا شجرتي، ربما تتساءلين لمَ لا تأخذني عندك فتريحني وتريح نفسك من التفكير بي كل مساء حتى يأتي الصباح فتأتيني، لمَ لا أكون عندك صباحَ مساء؟

- لا تخبرني بأنني شجرة إن تركت تربتها ذبلت،
أنا شجرة في أبيات شعرك وفي أحداث روايتك،
أنا رمزٌ للشجرة ولست شجرة، أنا أريدك
وأنت تريدني، مزق كل الأبيات، واحرق كل الروايات، ودعك من الخرافات وخذني إليك، لا تتركني أنافح الرياح وأعيش بين الغابات، من الآن فصاعدًا لن أرضى لنفسي أن أكون شجرةً إلا إذا غُرسَت في صحراء قلبك وسُقيت بماء حبك.

- إن اتفقت معك في شيءٍ مما قلتِ فهو

أن قلبي صحراء، فعلًا قلبي دونك صحراءٌ قاحلة، ووجودك فيها كبئرٍ يمد تلك الصحراء ليحيا فيها من بقي قيد الحياة،

لكني أخاف أن أكون كمن رعى وردةً ومن فرط حبه لها قطفها مظنةً منه أن سيحفظها عنده بعيدًا عمن سواه،

فذبلت وذهب عبق رائحتها وانتهت حكايتها وانتهى هو معها،

وكذلك أنا، لذلك أقول لعل في الترك خيرٌ لي ولك،

ولعل الله يحدث لنا بعد ذلك أمرا

فعليك السلام يا منبع الأمن والسلام.

لا زلت أنتظر مع كل نسمة فجر..

مع كل نسمة فجر أشتم رائحة عودتك، فلا أجد تصل،

ألهذا الحد أنت بعيد؟

في وسط الزحام ومع بكاء العائدين ولهفة المستقبلين وزغاريدهم ودموعهم،

أترقب عودتك من بينهم فلا أجدك،

ومع زحام الخطى وأصوات المارة ونداءات العابرين،

يدق قلبي متلهفاً لعلك تكون هنا،

وكالعادة لا أجدك إلا كطيفٍ يحوم بذاكرتي،

ولا زلت أنتظر.

شخصٌ ما قرأ ما أكتبه عنك،

فقال لي: كيف لي برفيقٍ مثله؟

قلت: ادعُ الله بذلك.

حقاً أنت رزقٌ من الله،

لا تباع ولا تشترى إنما تُوهب،

فأنت هبة الله لي.

قالت لي: أجدك تكتب عني كثيراً،
وليتني أجيد الكتابة فأكتب لك.
قلت: لولاك ما كتبت، فأنت شريكتي في الكتابة
ألا تلاحظين أنني أكثر التمعن فيكِ؟
فأنت مصدر إلهامي،
برؤيتك أستحضر كلماتي،
وأكتب أبياتي،
وأخطُ أشعاري،
فالشعرُ مصدره أنتِ ورجوعه إليكِ،
فلا فضلَ لي عليك.

وجودك في حياتي
يشعرني أنني محظوظ أكثر من كل العالم،
وفي حضرت وجودك
يصعب عليّ العبوس،
دعائي لمن أنجباك أمك وأباك،
أن يرزقهما الله الفردوس الأعلى جزاءً لهم؛
لأنهم أنجباك فردوساً لحياتي.

ولعلي أصيغ لك من الشعر بيتاً

ولكن هل بذلك أوفيك حقاً؟

وإن لم أوفيك من ذاك البيت شيئاً

فدع الشعر واستحضِر القلبَ

فذاك بمن فيه أدرى.

هل آن الأوان لأكتفي بالحديث عنك؟
لن أكتفي ولن أملَّ من الكتابة عنك
والتغني بك، فما زلت أشعر بالتقصير نحوك
فأنت رزقٌ ساقه الله لي على هيئتك،
وأنا الذي أجد نفسي عندك فكيف أكتفي منك؟
فلقد شاطرتني كل شيء، فأنا منك وإليك،
أكتفي بك وأكتمل معك.

منَّتي وسندي ومهجة فؤادي

كيف لي أن أكتفي منكِ؟

وكيف لي أن أزيغ عنكِ البصر

وأنا أرى فيك ضَوء القمر؟

إنّك في معجمي قمرٌ بازغٌ

وإني بحبكِ يا مِنةَ الله مغرمٌ.

قليلٌ فيكِ إن أسميتُكِ نغمةَ يومي ورونق حياتي،
ربما لم أعتد على سماع الأنغام الموسيقية،
ولكن حُفِرَ على جدار قلبي "نغم"
أتدري ماذا يعني أن يكون عندك نغم؟
أي أنك ترى على مُحيّاها
إشراقة الحياة، وفي عينيها البنيتين توقد شموع الأمل،
وعلى أنغام ضحكتها
تبتسم لك الحياة،
وكلّ هذا لن تجده إلا عند أعتابِ نغم.

عشقتك والقلب منشغلٌ

ألا أحبك وقد أصبح لغيرك غير ملتفتٍ؟

متى ازداد نبض قلبي سبقه أنت

ومتى ذكر الحب تبعه أنت

لا غنى لي عنك فأنا منك وإليك.

عندما أكون وحيداً أراك أمامي لا تفارقني،
وعندما أهرب منك إلى الزحام،
أراك في وجوه الحاضرين كـأنهم أنت،
وكأن كل الطرق تؤدي إليك،
صدقتُ حين قلت لك: أن روما لم تعدها وحدها
التي كل طرق تؤدي إليها، فقد أصبحت تشاركها في هذه الميزة،
أخبرني بربك كيف أهرب منك؟
كما هربت أنت.

متى؟
هي مسألة وقت وسيخضع الزمن وينحني لنا،
سنكون تحت سقفٍ واحد،
سرب الطيور سيمر علينا،
وأهازيج العصافير ستغني لنا،
والورود تبعث التهاني عبر فوحانها،
أشعر وأن كل شيء
ينطق بهجة ويوحي سروراً وسعادة،
ويهمس بأسمائنا ويدعو بسعادتنا.

لا يمكن لأي قوةٍ على هذه الأرض
أن تحول بيني وبينك،
إلا إرادة الله التي دفعتني نحوك
فكيف يكون الخلاص منك؟
فأنا منك وإليك.

سألته يوماً: هل تحبني؟

وما إن أخذ نفساً عميقاً لكي يجيب

قاطعته بحب، نعم

شئت أم أبيت،

وافقتني الرأي أم لا،

لا شأن لك في الإجابة دع الأمر لقلبك،

وهو سيخبرك كما أخبرتك،

بالطبع سيجيب نعم،

فقلوبنا تنبض بأسمائنا حباً.

بينما كنت أجلس معها في ساحةٍ خضراء جميلة والجو ماطرٌ والنفس مفعمةٌ بالأمل والسرور، قلت لرفيقتي:

أرجو أن نكون يوماً في مكانٍ أرقى وأجمل من هذا،

فقالت: وأي شيءٍ يفوق هذا الجمال وأنت بجانبي؟

قلت:

أطمع أن أكون معك هناك

فهناك تحلو الكلمات والعبارات

وتذرف معها أصدق العَبرات

كيف لا وحبيبنا على الحوض يعطي الحفنات

حفنةً من ماء، لا بعدها ظمأٌ ولا عثرات

فهل لنا أجمل من هذه الأمنيات؟

نعم، وإنها أجمل اللحظات

ألا وهي رؤية السُّبحات.

- أخبرني كيف حالك؟

- أنا في صراعٍ مع نفسي
ما بين الواقع والحلم
واقع نعيشه وحلم نتمناه،
قلبٌ يتبع حلماً، وعقلاً يفكر دوماً،
قلبٌ متسرع وعقل متمهل، لقد تعبت.
- اسمع أيا صديقي:
نحن مرغمون على الواقع رغم حلاوة الأحلام،
لا ضير في أن نحلم، ولكن للحلم حدود،
وحدود الحلم الواقع الذي نعيشه،
ولا أريد أن أكون مثل المتهورين وأقول:
تمرد على الواقع.
لا، بل عش واقعك خطوة بخطوة،
لعلك تصل إلى حلمك،
من جميع الجهات نحن فريسة الواقع،
إما أن تصنع واقعك فترضى
أو يصنعك فعليك يطغى.

كثيراً ما أسمع هذه العبارة:

"نعتاد الأماكن ونتقرب منها ليس حباً فيها، بل حباً بمن كانوا فيها ".

وأستغرب كيف تصمد قلوبهم

وتهدأ دموعهم في هكذا أماكن؟!

بالنسبة إليّ

يحتل الخريف قلبي ويهطل دمعي كأوراق الشجر حين يفارقها الصيف

ولا أقدر على البقاء،

ليتهم يعودون كما يعود الربيع، فيُورِق قلبي من جديد.

كثيراً ما نكون بجوار أناسٍ ولكن لا يلتفت القلب إليهم
ولا نشعر بهم،
ولا يكون لدينا الرغبة في الحديث معهم، وآخرون حاضرون
رغم غيابهم،
الروح عندهم والعقل دوماً ما يفكر بهم،
نسافر كثيراً مع الذكريات ونجوب العالم فرحين بهم
رغم عدم وجودهم،
ثم نعود إلى حقيقة الواقع المرير الذي فيه نتذكر فقدهم،
فتُهيّجُ الدموع الألم مع الأمل
ألم الفراق وأمل اللقاء.

عشت طفولتي مدللاً وأصبحت شاباً يافعاً
وما زلت عند أمي مدللاً،
ما طلبت منها شيئاً إلا وكان أمامي متمثلاً،
ولكنني لا أعلم لِمَ لمْ أجرؤ على أن أطلبك منها؟
الحقيقة أنني أعلم ولكنني أتجاهل،
ففي مجتمعنا يُعطى المدلل كل ما يريده
إلا مراده،
فهلا أتيت يا كل مرادي ومنتهى أملي.

كم من الصعب أن يشتاق الرجل لامرأةٍ وهو بجوار أخرى،
كم من الصعب أن ينظر لامرأةٍ فيجد عليها ملامح
ليست هي من يحملها، إنما ملامح من كان يحبها،
ما أصعب أن يعيش الرجل مع امرأةٍ ليست بجواره،
أو أن يضم امرأةً بشدة الاشتياق لغيرها،
ما أقبح أن يعيش مع امرأته جسداً وهو مع غيرها روحاً،
بئس العلاقات التي كانت هذه حكايتها وهذا مآلها،
علاقات أوجدت خيانةَ قلوبٍ رغماً عن أصحابها.

سألتهُ: ما هو مفهوم الحب بالنسبة إليك؟
فأجاب إجابةً مخيفة، لا أعلم هل بقيت معه
أم هربت بعد هكذا رد؟
قال: "من الحب ما قتل"،
سيقتلك أنتِ بلا شك، إما أن تكوني لي
وإما ألا تكوني أبداً.

نظرةٌ منك
كالرصاصة تستقر في أعماق قلبي فتقتلني،
وحضنٌ منك
كفيلٌ بأن يعيد لي الحياة،
أرتقب رصاصةً منك لأحظى بحضنٍ دافئ.

أجمل فتاةً على هذه الأرض
هي أنت،
وثاني أجمل فتاةٍ
هي أنتِ عندما تستيقظين من النوم،
أنا منك وأنت مني،
روحٌ واحدةٌ يحملها جسدين،
دمت لي شيئاً لا ينتهي.

أعترف بأنني لا أجيد السباحة،
ولم أطأ بحراً إلا وغرقت فيه،
ولم أكن شجاعاً وأحاول السباحة إلا نحوك،
حتى وصلت إليكِ،
ثم رجعت إلى سابق عهدي وغرقت في بحر حبك،
حقاً لا أجيد السباحة
ولا أريد تعلمها؛ حتى لا أنجو منك
فالغرق عندك نجاة.

ويحكِ..

لماذا لا تتركين السباحة في أعماق قلبي؟

ءأنت عصيةٌ على من يجيد الاصطياد؟

ألا يوجد من يريحني منك؟

أم أنك طيفٌ وذكرى عصيان على النسيان؟

هل سبق وأن اعترفت لك؟

بماذا تعترف أيا حبيب؟

اعترفت لك بالكثير، ولكن إلى الآن

لم أعترف لك

أن حضنك هو أحب بقاع الأرض إليّ

وليتني منه أرتوي،

ولولا أنني أعلم أن كثرة مكوثي فيه ربما يتعبك

لما فكرت بالابتعاد عن هذه البقعة.

القلبُ وجِدَ ليحتوي المشاعر،
فمن لا يحملها فليس بذي قلب،
القلبُ مدينةٌ لا يدخلها
إلا من كان مجنوناً في الحب،
لذلك أطلق لنفسك العنان،
وتفنن في انتقاء المعاني وأعذب الكلمات
وألقها على مسامعها،
سَخّر كل شيء فيك ليدل على حبك لها،
كن مجنوناً معها فالحب لا يعرف العقلاء.

المرء يولدُ مرةً واحدة،
ولكنه يعيش طفلاً لمرتين،
مرةً في حضن أمه،
ومرةً في أحضان حبيبته،
وهنا سأمكث كثيراً.

أتعسُ ما في الوجود
أن يموت الشخص من خيبة حب،
حبٌ قذفه في علاقةٍ سخيفة،
أودت به وبحبه إلى الهلاك،
ما أصعب الحقيقة
وما أتفه العشاق،
ويا ويحي إن لم أكن معك.

عندما تكوني "أميرة"

ستعجز كل الكلمات عن وصفك،

وسيشعر الشعراء بالحيرة في أمرك،

كيف نَصِف من يُستَمدُ

من اسمها معاني الحب والغرام

ومن كانت أجمل من كل الأشعار؟

عندها سيكون لك الخيار،

فاختاري لنفسك يا أميرتي ما يحلو لكِ.

الحبُ جميلٌ والمكوث في حضنك أجمل،
ولكن دعيني آخذُ قسطاً من الراحة
في النظر إلى عينيكِ،
ومن ثم أرجع إليكِ،
فلا راحة لي إلا معك.

أرتقب عودتك لأحيا من جديد

وتَخضَر حياتي وتزهر

أوراقي ويحتل الربيع صحراء قلبي

فتعود الروح إليّ وينبت فيّ كلّ

شيءٍ جميل فهل أدركتِ مدى حاجتي إليكِ؟

أما علمتِ أنني أعشق الليل والسير تحت المطر،
ومع ضوء البرق وصوت الرعد واهتزاز الشجر،
ينتابني شيء من البرد والقُشعريرة فأضع يديّ داخل معطفي وأمضي في طريقي بعيداً عن الزحام وضجيج العالم وحديث المارّة وصوت الباعة المتجولين وصراخ المتعبين، يكفيني الضجيج الذي يجتاحني من الداخل، يكفيني صِراعي معَ نفسي وتأنيبها لي، أخرج وحيداً محاولةً مني لأعيد ترتيب أوراق حياتي وأهذبها وأُخرجُها بشكلٍ يليق بي ولا أضع أمامي شيءٌ سوى نفسي فأنا أولى الناس بها وأنا قبل كل شيء، فأنا الذي أهملت نفسي كثيراً ولم أهتم بها كما ينبغي، أنا الذي آثرت الكثير على هذه النفس المسكينة التي لطالما نادتني ولكني لم أستجب ولم ألتفت، وتركتها تعاني وحدها..

ولكني اليوم خرجت وحيداً لا أحمل هماً سواها، شعاري عدت إليكِ يا نفسُ فاقبليني، فكما كنت أضُرُّكِ بهجري فقد كنت أضر نفسي فأنت نفسي ورفيقتي وأولى الناس بي وأنا أولى بك، اليوم عدت بعد غياب والغائب عذره معه فاعذريني،

كنت أتسائل كيف يمكن للمرء أن يضيع نفسه؟

عرفتُ أن المرء بغبائه يظن أنه يسعد نفسه وفي الحقيقة هو يضيعها،

عرفتُ أنّ أصعبَ الفقد هو فقدان النفس وضياعها،

وكيف يكون فُقدانها؟

لعلي ملّكتُها لمن لا يستحقها فغادرَ بها وتركني وحيداً خاوي الوفاض، أو لعلي أضعتها في الزحام وفي ضجيج الحياة..

ولكني اليوم جئت بعيداً عن كل هذا وتركت كل شيءٍ لأجلك أريد أن أحيا من جديد أريد منكِ أن تعينيني على ذلك وتنبهينني في حالِ تقصيري نحوكِ،

انظري إلى السماء ملبدة بالغيوم والجو هادىءٌ والأرض ترقُب نزول المطر ليُحييَ المطر ما في أعماقها فتنبت وتخضَر فيلتفت إليها الناس ويعجبون بخضرتها وجمالها،

وكذلك أنا أرتقب عودتك لأحيا من جديد وتَخضَر حياتي وتزهر أوراقي ويحتل الربيع صحراء قلبي فتعود الروح إليّ وينبت فيّ كلّ شيءٍ جميل فهل أدركتِ مدى حاجتي إليكِ؟

نتنفس عبق الذكريات،
ومن ثم نشعر بالألم والأمل
ألم الفراق، وأمل اللقاء
وأما الوقت الذي بينهما
فنكون فيه على ركام الذكريات
ولعلنا نلتقي.

ألم أخبرك بأنني لن أناديك بـأداة "يا"

لأنـها تستخدم للبعيد،

ومنذ متى وأنت بعيدة عن قلبي؟

حتى أناديك بـ "يا"

أجيبي يا حبيبتي،

رجعت وقلت لك يا،

أحياناً التعود يغلب خواطر الحب هه.

خُلق قلبي ليحمل شيئين

همومي وأنت،

وهل يجتمع الحزن مع الحب؟

كلا، ولكن بمجرد دخولك لقلبي

تنزاح الهموم وتعم السعادة أرجاء قلبي

فلا مكان في قلبي لشيءٍ سواك.

ارفق بالعين واجبر كسرها

فالدمع قد ملأ مقلتيها

وردّ الروح لمسكنها

ما عدت أرى الروح على حقيقتها

ولا العين كما كانت ببريقها

فروحي غادرت معك

وعيني ترقب عودتك

فأنّى تعود.

جاء مكسوراً فضممته فشُفي من كسره،

علاج الكسر الضم

فالضم يعيد للقلب السكون،

لكن السكون يضرني،

فهو لم يعد كما كان،

أصبح ساكناً في تصرفاته في مشاعره، في كل شيء

من كسرٍ إلى ضمٍ مروراً بالسكون

وصولاً إلى الشدة التي تنهي كل شيء،

هذا حالنا، ورغم كل ذلك

الروح لا تمل العاشقين.

بمجرد أن رأيتُ اسمها

كتبت قصيدة،

فكيف بالنظر إليها والتمعن في عينيها،

ما كنت أحسب نفسي شاعراً إلا حين ابتليت فيها،

ففاض الشوق من قلبي

وتوجه الشعر إليها

أتدري شيئاً عن تلك الفتاة الغزّيّة؟

بحثت عن اسمها فوجدته

"ماريّة"

تُلفت الأنظار عن دونها من البقية،

فهي بيضاءُ حسناءُ ذكية،

تظنها سهلةً هينة،

وهي في ذاتها فتاةً عصيّة

تشقُ طريقها على نهج صحابيّة.

ألاحظك تأتيني وأنت متضايقٌ منزعج،
فأين تكون وأنت بكامل سعادتك؟
قال: ءاتيك بحالٍ وأخرج بحال،
هذا عهدي بك، أزورك بشتات أمري
وأخرج من عندك وكأنك شتاءٌ لقلبي،
فكل شيءٍ عندك يصبح على ما يرام.

تائهٌ أنافحُ الصعاب والعثرات
حتى تعثرت بك فكنت
قارب نجاتي،
فاعتدت عليك في حلي وارتحالي،
وأصبحت من كل الصعاب لا أبالي،
إليك أيقونة حياتي.

نظرت إليّ والدمع في مُقلتيّ

قالت: كيف لي أن أجعل الدمع يجف

والقلب يرف؟

قلت: أما يكفيني أن أنظر إلى جمال عينيك

فبمجرد أن أنظر إليهما أجد نفسي

في ساحة قلبك،

وهناك يصبح كل شيءٍ على ما يرام.

سلامٌ عليك رفيقي،

سلامٌ عليك أيا حبيبي،

سلامٌ عليك حين رمى بك القدر

في الطريق الذي كنت أبحث فيه عن الحياة،

فأخذتك لتسندني فإذا بك أنت الحياة،

إليك أيقونة حياتي.

سألوني عن الحب

قلت: يكفيني من الحب

"غزل"

قالوا: فأين الاهتمام والدلال والقرب

وكل معاني الحب؟

ليتهم فهموا مقصدي من الحب

يا "غزل"

قصدت اسمك وليس شيئاً سواه،

وعندك يكون مكمن الحب.

ما أجمل أن ينعكس
صفاء الروح على المحيا
أما إن كانت الروح معكرة،
فلا معنى لجمال المحيا،
ما فائدة الشكل الخارجي
إن كان الوعاء فارغاً.

أوَ ينسى الحبيب حبيبه؟

أراكَ دوماً متمثلاً في مخيلتي،

ليتني عانقتك طويلاً،

ليتني نظرت إليك أكثر،

وتحدثت معك أكثر،

وكنت منك أقرب.

مررت بزُقاق البيت،
فتذكرت ملامحه وكلمات وداعه لي، هذا الزقاق الذي رأيته فيه آخر مرة حين الوداع، تمزقت مشاعري وانسكبت دموعي وخارت قواي ولم أستطع أن أتمالك نفسي، كل هذا حدث بمجرد مروري من جانب البيت، فكيف بي عندما أدخل البيت الذي قضينا فيه معًا أجمل الأوقات وأحلى الذكريات؟ كيف سأستقبل قلبي الذي تركته هنا منذ رحيله عنا؟ كيف سأستقبل أمي وحالها يرثى لها؟
كانت تبكي حبيبها كل ليلةٍ فهي ما زالت ترقُبُ عودته مع كل نسمة فجرٍ، وتشمُ رائحة عودته فلا تكاد تجده، ومعَ فرحةِ ولهفةِ العائدين وبكاء المستقبِلين وزغاريدهم تنتظر رؤيته من بينهم فلا تجده، وفي زحام الخطى وأصوات الأقدام يدق قلبها لعله هنا، لعله يطرق الباب وينادي بصوته الجميل أنا يا أمي فتفتح له لتأخذه إلى حضنها ذلك المأمن الذي كان يأوي إليه في صغره، ولكن كل هذا ينطوي ويزول عندما تنظر إلى حائط البيت وتجد صورة فلذة كبدها معلقة على الحائط موسومة بوسام الشهادة وجدتي تنظر إليها تحبس دموعها كعادتها وهي تجلس على أريكةٍ بجوار الباب تذكر الله وتدعو لأخي بالمغفرة ولأمي بالصبر والسلوان..

أمّا عن والدي، فالذي أعرفه منذ صغري أنه من الداخل أرقهم وأطيبهم، ولكنه يأبى أن يزيد من وجع أمي فيدّعي الثبات والصبر، ولكنه يبكي بصمتٍ وفي داخله ألمٌ أكثرَ من غيره وكل ذلك يبدو على ملامحه التي فاقت سنَّهُ، كان يبدو عليه أنه رجلٌ في الستين من عمره، ولكنه في الحقيقة لم يتجاوز الأربعين،

كان يربت على كتف أمي ويخبرها بأن اللقاء قريب وأن شوقَه لنا أشد فهو يشعر بنا كما نشعر به، وأنّ هناك موعدًا فيه يحيا الحبيب مع حبيبه وإنّ لنا لموعدًا معه هناك فما علينا غير الدعاءُ له

وما ذلك على الله ببعيد..

وكذلك أنا، أختك المدللة التي كنتَ تخبرها بأنها أحب النساء إليك اليوم تفتقدك كثيرًا،

أفتقد زياراتك لي يا أخي وجلوسك مع أبنائي، كانوا يقولون لي:

نحب خالنا أكثر من غيره فهو أحسنهم وأنقاهم، صدَقوا يا حبيبي في وصفك فأنت الأحسن والأنقى،

لقد كنت أرى فيك ما لا يراه غيري، سامحني، كنت أتنصت عليك وأستمع إليك وأنت تقوم الليل وتقرأ القرآن بصوتك العذب النقي، كنت أسمع مناجاتك وبكائك، كنت أسمع تنهيداتك ودعواتك وأنفاسك الطاهرة وكنت أفرح جدًا حين أسمعك تذكرني في دعائك، كنت أقترب من الباب لأدخل عليك فأتذكر أنك لا تحب أن يطلع عليك أحد وأنت في خلوةٍ مع ربّك،

اليوم أدركت ماذا يعني أن يفقد الحبيب حبيبه،

ولكني لن أنساك لأن من الصعب أن ينسى الحبيبُ حبيبه، أراكَ دومًا متمثلًا في مخيلتي، ليتني عانقتك طويلًا يا أخي، ليتني نظرت إليكَ أكثر وتحدثت إليكَ أكثر.

لأن تشعر بالضعف في عينيك
من كثرة القراءة، خيرٌ لك من أن تنعم بحدة النظر
في وحل الجهل،
اقرأ فحياةٌ واحدة لا تكفي،
القراءة جواز سفرك الذي يأخذك إلى حيث تشاء،
القراءة نافذة تتطلع منها إلى الماضي والحاضر والمستقبل.

ألا يكفيني من القراءة
أنني أصبحت كاتباً أتغزل بك.

لا أعرف معنىً للراحة

إلا في دفء عينيك

ولا أذوق حلاوة الحياة

إلا عندما أكون بين يديك

أعيرني قلبك ليكون لي ملجأً

بل كلّك فأنت لي متكأً وسنداً.

ربما كان لزاماً عليّ ألا أفارقك أبداً،
أتدري لماذا؟
لأجل روحي،
فسعادتي تكمن في النظر إليك،
وأُنسي في الحديث معك،
وراحتي عندما أكون عندك،
ودواء شتات قلبي أن تضمني إليك،
وقُبلة منك على جبيني كفيلةٌ
بأن تعيد لي الحياة.

لماذا يخطر دائماً في مخيلتنا

الفناء وليس البقاء؟

لماذا نستعجل النهايات؟

لماذا قال الحبيب لحبيبه:

الغرق معك نجاة؟!

والموت معك حياة؟!

ولم يقل:

كن بقربي فأنت قارب نجاتي،

إن غدرت بي الحياة فأنت لي حياة.

ما دمنا نتحدث عن الحب، فلا بد من ذكر الحبيب،
من ذا الذي إذا ذكرت في نفسي بعضاً من خصاله،
نادت جوارحي أن أفيضوا علينا
مزيداً من أوصافه،
إنه الذي خارت قواي لأجله،
فكم ذرفت دمعاً شوقاً لرؤيته،
وهل يكفي البكاء لبلوغ لقياه؟
إن البكاء وسيلةٌ تذكرنا
أنه يوماً عند أصحابه ذكرنا،
الحب مع الاتباع سبيلٌ للقاء،
بأبي أنت وأمي يا حبيبي يا رسول الله.

أنا كالغريب في الأرض التي لا أراك فيها،
فالأشخاص هنالك مملون،
أهم كذلك؟
أم أن غيابك جعلهم كذلك يبدون،
غب ما شئت فأنت في حفظ الله وفي دعائي،
إذا حضر الجميع وغبت فهم سرابُ
وإذا غابوا وحضرت فهم جفاءُ.

لئلا أتعثر بك أبداً،
ولا أعرف لك طريقاً،
أهون عليّ من أن أكون معك
فتأتي لحظ الوداع، فأنا ضعيف في هكذا مواقف،
أنت تعلم أنني بمجرد أن أفكر
في أننا سنفترق يغشى عليّ،
فكيف بحقيقة الفراق؟
أجدد العهد معك،
وأقسم أنني لن أدعك،
فهل تعاهدني على البقاء.

بعد زواجنا..
أين سنقضي شهر العسل؟
إلى أي المدن تحبين السفر؟
بما أننا في غزة، لن يكون لديك
المقدرة إلا أن تسافري
عبر أوردتي وشراييني
إلى مدينة قلبي،
هناك سيسعك كل شيء،
سأسمعك ترانيم دقات قلبي،
وأحاديثاً لم تسمعها أذن بشر،
ستقولين بعدها: ويحك، لديك كل هذا وتدعي الضجر.

الاستغراق التام في التفكير
يفقدك الشغف الذي كنت عليه في البداية،
لذلك بعض الأمور لا تحتاج إلى انتظار
وتأمل وعتاب،
كل هذا نؤجله إلى ما بعد العناق،
ولعل العناق يغنينا عن كل شيء،
ويجيب على تساؤلاتنا ويخبرنا بكل شيء،
كم أنا بحاجةٍ إليك.

من يقرأ حتماً سوف يكتب،
فما دمت أمسكت كتاباً
فحتماً ستمسك قلماً،
فقط عليك أن تؤمن بنفسك،
وإن جاءك يوم إلهام الكتابة،
فلا تبحث عن نوع محدد، بل اكتب
كل ما تمليه عليك روحك،
فهي ملهمتك، ولولاها ما أبصرت كتاباً
ولا أمسكت قلماً ولا خطت يمينك حرفاً،
فاتبعها ولا تتردد.

هل كتب علينا التطور
وابتلينا بالمراسلات الالكترونية؛
لنحرم من رائحة الرسائل الورقية
حن كانت تصلنا ممن نحب،
فنحتضنها قبل فتحها ونشتم عبق رائحتها،
ونرى فيها ابتسامة مرسلها،
حقاً لم أكن أعلم أن للورق رائحة
إلا حينما وصلتني رسالةٌ ممن أحب،
تنازلوا عن هذا التطور،
وأرسلوا الرسائل الورقية
فإن لها طعمٌ آخر.

لم يعد الأمر صعباً،
فلقد أدركت أن كل الطرق تؤدي إليك،
بالنسبة إليّ لم تعد روما وحدها التي تملك هذه الميزة،
فمع كل نسمة هواء، مع كل صوت من أصوات المارين
في طريقي، مع كل ضحكةٍ وابتسامة،
ومع كل حديثٍ أجريه مع أحدهم، أجد طيفك يحوم حولي،
فالطريق إليك أسهل ما يكون،
واللقاء بك من أصعب المستحيلات.

ما زلت في نظري أجملهم،
وما زلت لقلبي أقربهم،
حتى وإن كنت عني أبعدهم،
فالروح عندك إن غادر الجسد،
والقلب يهواك لأنك ملكته،
وما من دعاءٍ إلا وأنت أوله،
فكيف تغيب؟

ما علاقة الأجواء والمطر بك؟
كلما هبت نسمةٌ خطرت ببالي،
وكلما سمعت صوت المطر
مرت صورتك في مخيلتي
وبدأ لساني يلهج بالدعاء لك،
لا أعلم هل هذا هو سبب حبي للشتاء؟
أم أن مرورك يجعل أي فصلٍ تأتين فيه محبب إليّ؟

أمهاتنا الأم منهن بأمّة؟

وأخص منهن أم الشهيد!

أتدري لماذا؟

الأم عندنا تحمل فلذة كبدها مرتين،

مرةً وهو في أحشائها ليخرج إلى الدنيا،

ومرةً وهو محمولٌ على كتفها ليخرج من الدنيا،

تحمل نعشه؛ لتودعه إلى جنان الخلد،

ابتسامتها على محياها تحيي أمةً بأسرها،

ابتسامتها تخبرنا بأنه كيف إن كان القلب مخلصاً

رأى التضحية بأغلى ما نملك فوزاً،

فبمنظورنا الفقد دائماً ما يكون حرماناً،

ولكنه في كثيرٍ من الأمر يكون فوزاً عظيماً،

وهذا تدركه أم الشهيد وهي تبتسم في حفل وداع فلذة كبدها،

هي لم تنس أن شمسه قد غابت،

ولم تعد تشرق في وجهها ككل صباح،

ولكنها أدركت أن الحياة إن كانت في سبيل الله فهي رخيصة،

وأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة،

وأن ابنها قد أصاب أعلاها بإذن الله،

وأن الحياة الأبدية والسعادة الدائمة هي عندما ندخل الجنة،

هذا حالنا وعلى الله أجرنا.

انتظرتك طويلاً،
بشوق السنين، وسهر الليالي، ومرارة الانتظار،
لأحظى بحفاوة اللقاء،
كتبت فيك الأشعار،
وتحدثت عنك في كل الديار،
فلقد عرفت بك،
كما عُرف عنترةُ بعبلة،
والمجنون قيسٌ بليلى،
غير أني إلى الآن لم أبح باسمك.

كن كشجرة،

ولكن ليس كأي شجرة،

شجرةٌ أصلها ثابت وفرعها في السماء،

ثم خالف كل الشجر؟

كن لنفسك ولا تنتظر خدمةً من أحد،

ولا تحزن إن لم تجد من يرعاك،

أو من يهتم بك، فلعل الله كتب لك أن تصنع على عينه،

فاستحضر معية الله، واصنع نفسك بنفسك من تفاصيلك الصغيرة،

قلّم أوراق عمرك، وهذّبها بما يناسبك،

فأنت أولى بتفاصيل حياتك، اهتم بنفسك جيداً،

وكن لنفسك مقلّماً وساقياً تنعم بحصادك.

حضروا فكنت أسعد إنسانٍ بهمُ،
غابوا فما زالت ذكراهم لا تفارقني،
أحاديثهم ما زالت تخاطبني،
كلماتهم الجميلة تدق حائط قلبي،
تارةً تسعده
وتارةً تفتح عليه ذكرياتٍ فتؤلمه،
همساتهم، أنفاسهم، صورهم،
كل شيءٍ حاضرٌ متمثلٌ في مخيلتي
كأنهم لم يغيبوا،
الروح تأبى أن تفارقهم
والقلب يأبى إلا أن يرافقهم.

ربما أجمل شعورٍ سأعيشه ذات يوم،
حين أسمعهم يهتفون بقلوبهم:
عدنا إليكَ والعودُ أحمدُ،
لا فرق الله بيننا ولا شتت شملنا،
كنّا نستمد منك قوتنا،
ولكنّا عاقبناك بهجرنا،
أرجوك سامحنا،
فأنت الجواد الذي اعتدنا عليه أن يكرما،
لا تثريب عليكمُ
فقلبي عنكمُ قد عفا.

أعلم أنه لا يمكن لي أن أراكِ ولكن أطلب منك أن تسمعينني صوتك،

أما يقولون:

"والأذن تعشق قبل العين أحياناً"

همسةٌ منك كفيلةٌ بأن تذيب قلبي

وتوقد الحب من سباته،

وتنفض غبار الهجران عني،

وتحيي بداخلي عمراً جديداً

فيكون لك أجر إحياء نفسٍ،

هذا كله بهمسة

فكيف بعناقٍ يتبعه قُبلة.

ما هو مفهوم السعادة بالنسبة إليك

كثيراً ما نسمع بأن سر السعادة في أن تجعل سعادتك سر،
ولكن هل كل سعادة تتحقق عند إخفائها؟
لمَ لا يحق لنا أن نشعر بلذتها ونبديها؟
كما نشعر بالخيبة عندما تظهر على تجاعيد وجوهنا،
لما اعتدنا دوماً أن نكون منكسرين
أيعقل لأننا غرقنا في النعم، أم أننا اعتدنا على السعادة وألفناها
فالإلف عدو الامتنان، بالنسبة إليّ سر السعادة في أن تكون دوماً
مبتسم، إيّاك أن يستغرب الناس منك عندما يجدونك مبتسماً؛
لأنهم اعتادوا عليك الكآبة،
بل اجعلهم يتمنون لو كانوا مثلك ذو روحٍ مرحة،
وكأنه لم يصبك ضير قط،
وكأنك لست أنت الذي تخوض بداخلك معارك الحياة
بحلوها ومرها وتعبها وكدرها،
سر قوتك في سعادتك،
وسر سعادتك في أن تسلم أمرك كله لله،
فكل أمرك خير ما دام الدبر هو الله،
الحياة أقصر من أن نلتفت لكل أمر
وأن نهتم بكل صغيرةٍ وكبيرة،
قليلٌ من التجاهل والتغافل يمنحك كثيراً من الراحة والسعادة.

كتبت كثيراً عنك،
ولم أدع وصفاً للفراق إلا ودونته،
ولم أدع وصفاً للقاء إلا ودونته،
رغم أني لم أعش شعور اللقاء،
حتى كادت كلماتي أن تنتهي،
وحروفي بدأت بالنفاد،
فقد استعملت كل الحروف العربية
في وصفك، لدرجة أن كتاباتي كلها اتسمت بك،
وبالحديث عنك، وأخذ طابعها الشوق والحنين إليك،
فهل جاء الوقت لتكافئيني برؤيتك،
أو على الأقل نظرةٌ خاطفة تعيد شحن حروفي،
لأعيد الكرة وأكتب عنك من جديد،
بعد كل هذا،
من الذي قال أننا لا نمنح الفرص؟
ولكن من أصر على الرحيل لن يغتنمها؟

بينما كنا نجلس سوياً

وكانت ضحكاتنا تملأ المكان،

فجأةً توقف عن الضحك وبكى!

قلت: ما بك يا حبيبي وكأنك جننت؟

مرةً ضحكت وفجأةً بكيت؟

قال: من جمال ما نحن فيه ضحكت،

ومن ثم تذكرت اليوم الذي أنظر فيه حولي

فلا أجدك فبكيت، أتعاهدني ألا تغيب؟

عانقتك وعاهدتك وعاهدتني،

ثم مع الذكريات المميتة تركتني أهذا العهد وما عاهدتني؟

عجباً هل تغيرت الكلمات في القواميس مع معانيها؟

أم عند الأحباب ضاعت القلوب مع ساكنيها؟

"إلى اللقاء"

في كل لحظةٍ وفي كل وداع تقال هذه العبارة،
أما أنا فقد اعتدت على أن أخاطبك بشيءٍ
لم تسمعيه إلا مني، ولن تسمعيه من أحدٍ بعدي،
ولكن في هكذا موقف أي جرأةٍ يملكها قلبي
ليقول لك: إلى اللقاء، أو أي جملة فراق غيرها،
سواء اعتدت على سماعها أم لم تعتادي،
أتمنى ألا يأتي اليوم الذي أودعك فيه،
حينها لن أبوح بشيء، أتدرين لماذا؟
لأن حديثي إليك حديث قلب،
وعندها لن يكون معي قلب،
فقد وهبتك إياه عوضاً عن رحيلي،
ليكون قلبي حاضراً معكِ
فإن استوعبت يوماً حقيقة الفراق
فرديّ إليّ قلبي.

آخر حديثٍ دار بيني وبينها

قالت:

قلبك بالنسبة إليّ كوردةٍ

أعاهدك دوماً أن أسقيها بماء الحب.

فقلت:

لو كتبت كتاباً عن الحب،

فسأختارك عنواناً له،

وها أنا اليوم أوفي بوعدي،

وأُسمي هذا الكتاب

"أيقونة الحب"

أتمنى أن تكوني أوفيتِ بوعدك

وما زلت تعتنين بقلبي،

الذي أودعته عندك.

صدقاً،

إلى هذه اللحظة لم أعرف مرادي من هذه الكلمات،
ما أعرفه أنها مجموعة من الخواطر العابرة التي
ألقاها قلبي إليكم،
لربما في قلبي شيئاً لم أستطع البوح به،
لمَ لا فهذه القلوب لا يقدر عليها حبر قلم،
ولا تسعفها بضع صفحات كي تبوح بكامل أسرارها،
فلم يكن بوسعها سوى أن تسرب بعض الخواطر،
أو بعض أنفاسٍ لكي يبقى هذا القلب على قيد الحياة.

ولكنها كانت خطوةً جريئة لها ما بعدها..

تم بحمد الله

تمت مشاركته عبر تطبيق القارئ مجاني كامل الميزات - قارئ المستندات : https://st.deepthought.industries/vuA32i